

ملخص في علم الأصوات

Phonetics

1 - الصوت من خصائص اللغة الرئيسية، وكثيراً ما تتبع انطباعاتنا الأولية عن اللغات من خلال مظهرها الصوتي. وقد حظي هذا الجانب (أو هذا المستوى) عبر التاريخ بقدر متفاوت من العناية. ومع أنه جاء في الدراسات العربية مكملاً للنحو أو مختلطاً به في كثير من الأحيان إلا أنه أخذ نصيباً وافراً من العناية والاهتمام وخاصة من قبل المشتغلين بالقراءات القرآنية الذين ركزوا عليه تحديداً، وتركوا لنا فيه تراثاً ضخماً متميزاً.

2 - مشكلة الكتابة الصوتية :

يتطلب البحث في الجانب الصوتي للغة إيجاد رموز دقيقة تتسم بالانضباط والاطراد. وهذا لا يمكن أن تقوم به الكتابة الهجائية (الاصطلاحية) في أي لغة من اللغات لأنه مهما بلغت في دقتها لا تمثل الأصوات تمثيلاً كاملاً. ويكفي هنا طرح بعض نماذج النظم الهجائية المعروفة ومقارنتها بالواقع الصوتي للغة ليدرك الناظر مدى قصور الكتابة الهجائية في هذا الشأن.

- يمكن أن نجد الرمز (أو الحرف) الواحد يستخدم لتمثيل عدة أصوات، فالصوت /S/ في الإنجليزية يعبر عنه بالرمز (S) أو (C) في بعض المواضع. وقد يستخدم الرمز (c) نفسه للإشارة إلى صوت /S/ أو /K/ في الإنجليزية الذي قد يشار إليه بالرموز التالية في هجاء اللغة الإنجليزية : (K) ، (CK) ، (CH) ، (C).

لو أخذنا اللغة العربية كمثال فإننا سنجد أنواعاً أخرى من المشكلات التي تؤكد أيضاً عدم قدرة النظم الكتابية على مجاراة الظواهر الصوتية الموجودة في اللغة.

- يخلو النظام الهجائي للغة العربية من رموز الصوائت القصيرة (الحركات).

- تكتب بعض الكلمات خالية من بعض الأصوات الأساسية (هذا، ذلك، الرحمن، إلخ).

- (هـ)، (ة) رمزان لصوات واحد، (ويختص الثاني بحالة الوقف).

- قد تختفي بعض الأصوات من بعض الكلمات في سياقات معينة ومع ذلك يبقى الحرف كما هو (ابن → وابن)، (ال + شمس → الشمس) إلخ.

3 - الكتابة الصوتية باستخدام الرمز العربي أو الرمز الدولي أنظر أحمد مختار عمر ص : 313 وما بعدها.

4 - علم الأصوات Phonetics : يهتم بدراسة الخصائص النطقية للأصوات المستخدمة في الكلام، وي طرح المناهج المناسبة لوصفها وتصنيفها وكتابتها. ويشتمل على ثلاثة فروع هي :

أ - علم الأصوات النطقي (articulator Phonetics) : ويهتم بدراسة كيفية إنتاج الصوت. وسيكون هذا الفرع مركز اهتمامنا في هذا الجزء من هذه المادة الخاص بالأصوات.

ب - علم الأصوات الأكوستي (acoustic Phonetics) : ويهتم بدراسة الخواص الفيزيائية للأصوات (الموجات، الذبذبات، الطبقة وما إلى ذلك).

ج - علم الأصوات السمعي (auditory Phonetics) : ويدرس عملية إدراك الأصوات من قبل الأعضاء الخاصة بذلك (الأذن والأعصاب والدماغ).

5 - فكرة الفونيم (Phoneme) :

اعتدنا من خلال معرفتنا العامة بالكتابة على استخدام كلمة (حرف) أو (صوت) للإشارة إلى أصوات اللغة، ولكننا لم نعتد أن نفرق بين الأصوات

المتقاربة التي تختلف في بعض السمات الصوتية الظاهرية والأصوات المتقاربة التي تختلف على أساس وظيفي. فكلا الفئتين أصوات... (خذ مثلاً صوت الراء في العربية تجده أحياناً يكون مرققاً وأحياناً يكون مفخماً. ولكننا نعرف ضمناً أن هذا التنوع ليس سوى تنوع مظهري تفرضه البيئة الصوتية التي يقع فيها الصوت. ولو قارنا بين هذه الظاهرة في العربية وبين الاختلاف الموجود بين الصوتين المتقاربين في اللغة الإنجليزية (b) و (P) فإننا نجد أن التنوع الموجود في اللغة الإنجليزية أبعد ما أن يكون تنوعاً ظاهرياً فقط، بل هو تنوع وظيفي يؤدي بهذين الصوتين إلى أن يشكل كل منهما وحدة صوتية مستقلة تؤدي معنى لا تؤديه الأخرى. (سيتم بيان ذلك).

يساعد مفهوم الفونيم على تناول مثل هذه القضايا بشكل أكثر دقة. فالفونيم يسير إلى الوحدات الصوتية الرئيسية في اللغة ولا شأن له بالتنوعات الصوتية الصرفة التي لا تؤثر في المعنى. (مثلاً : كلمة "رحمة" تدل دائماً على نفس المعنى وإن حوِّلت الراء (خطأ) إلى مرققة.

من تعريفات الفونيم :

أ - الفونيم أسرة من الأصوات المتقاربة التي لا يؤدي أعضاؤها إلى تقابل (اختلاف) في المعنى. (الراء المفخمة والراء المرققة عضوان في أسرة صوتية واحدة هي فونيم الراء ولا يؤديان إلى تقابل أو اختلاف في المعنى). ويطلق على التنوعات الصوتية (التي لا ينتج عنها تغير في المعنى) مصطلح ألفون (أو صويت) allophone.

ب - الفونيم "صوت نموذجي" يحاول المتكلم دائماً أن ينتجه ولكنه ينحرف عنه إما لأنه من الصعب على الإنسان أن ينتج صوتين مكررين متطابقين، أو بسبب تأثير الأصوات المجاورة.

ج - الفونيم هو "الصورة العقلية للصوت" أو أنه "أفكار صوتية".

د - الفونيم "صوت مثالي نحاول تقليده في النطق ولكننا نفشل دائماً في إنتاجه كما نريد، أو بنفس الصورة التي نسمعه بها".

وبأي تعريف أخذنا في الفونيم هو أصغر وحدة في النظام الصوتي للغة. (لاحظ هنا أننا حينما نقول أصوات مستقلة، أو وحدات صوتية، أو فونيمات فإن هذا لا يخلو من الافتعال أو التجاوز وذلك لأن إنتاج هذه الوحدات بشكل منفرد لا يخلو من صعوبة إن لم يكن مستحيلاً. فالأصوات تكون في الكلام الطبيعي في حالة اتصال دائم بما قبلها وما بعدها وتتعرض لشتى أنواع التأثير من جراء هذا الاتصال).

• يرد بعض الباحثين التصورات الأولية المتعلقة بمفهوم الفونيم إلى ماضٍ تاريخي سحيق يعود إلى الزمن الذي اهتدى فيه الإنسان إلى الكتابة الألفبائية.

ومن الملاحظات الأولية التي قادت إلى نظرية الفونيم الحديثة ما يتعلق بملاحظة كيفيات النطق المختلفة، أو ملاحظة وظائف الأصوات المتنوعة، أو محاولة وضع الألفبائيات المختلفة. فقد لوحظ أن هناك تنوع غير محدود في الكلام ومع هذا فإن المتكلمين والسامعين يكونون واعين بعدد صغير من الأنماط الصوتية المستقلة. وعلى الرغم من اختلاف طبيعة الصوت من شخص لآخر من الناحية الأكوستية (الفيزيائية) إلا أن أبناء اللغة يدركونه بصورة موحدة متشابهة لا تلتفت إلى تلك الفروق.

(للتوضيح : راقب صوت الكاف في بعض اللغات المختلفة (العربية والتركية والإنجليزية مثلاً).

• الثنائيات الصغرى (minimal pairs) : تستخدم للتأكد من تمايز الوحدات الصوتية (الفونيمات) من الناحية الوظيفية. وهي عبارة عن كلمتين متماثلتين في عدد الأصوات وترتيبها باستثناء صوت واحد.